

نشأة العلم وأسسها القانونية

الدكتور جديدي معراج

أستاذ بكلية الحقوق جامعة الجزائر

مقدمة:

لقد استوقفني العلم الجزائري منذ الطفولة يوم كنت كشافا وذلك عندما كان القائد يرسم لنا شكل العلم على الصبورة بدون الألوان.

وها أنا اليوم بعد أن صرت فاهما لمغزى العلم ومطلعا لجحافل الشهداء الذين توفوا من أجله ازدادت رغبة في أن أكتب عليه وذلك لكي أبين للمواطن والوطن وللأجيال الصاعدة مدى أهمية هذا الرمز.

ولا أدعي في البداية بأنني سأتوقف عند جميع المراحل التي ظهر فيها ولا أزعم أنني سألم بتحليل كامل رموزه وإنما سأكتفي بذكر أهم المراحل التي مر بها وذلك منذ دخول الاستعمار الفرنسي أرض الجزائر في محور أول، وسأتناول في محور ثاني مصادر العلم، و في محور ثالث العلم في التشريع الجزائري.

المحور الأول: مراحل ظهور العلم الجزائري

كان العلم الجزائري خلال العهد العثماني جزءا تابعا لعلوم الدولة العثمانية، تجسدا لهوانين الإمبراطورية، وقد حافظ البايات على شكله وألوانه بإضافة (القسم العربي الجزائري) وقد حافظ أحمد باي عليه حتى يعد دخول الاستعمار الفرنسي.

وتذكر الكثير من الروايات بأن العلم الذي كان مستعملا قبل الاحتلال كان لونه أحمر وعند دخول الجيوش الفرنسية العاصمة الجزائرية وجدوا العلم الجزائري يرفرف فوق أعالي القصبة فنزعه ووضع مكانه علم فرنسا.

أما راية الأمير عبد القادر فكانت تختلف تماما شكلا و لونا عن الرايات السابقة للإمبراطورية العثمانية¹.

كانت مستطيلة باللون الأخضر واللون الأبيض في الوسط، مع وجود يد مبسوطة في مساحة اللون الأبيض².

وكانت الراية الخضراء الشعار المميز لجميع المقاومات والانتفاضات الشعبية التي شملت كل نواحي الوطن الجزائري منذ دخول الاستعمار الفرنسي إلى أن تبلور بشكل العلم.

وخلال الفترة الزمنية الممتدة بين 1910 و 1934 وقعت أربع حوادث لها ارتباط وثيق بالعلم، الحادث الأول يتعلق بالإضراب والمظاهرات التي نظمها عمال الميناء بمدينة سكيكدة 1910 ورفع المتظاهرون بهذه المناسبة علما وكان لونه أخضر، ولما لاحظ العمال الأوروبيون المشاركون في المظاهرة العلم الجزائري انسحبوا من المسيرة وتركوا العمال الجزائريين في صراع مع قوات الشرطة الفرنسية³.

1 - قاد الأمير عبد القادر أول مقاومة شعبية دامت حوالي 15 سنة تسير على غرب ووسط الوطن الجزائري من 1930 إلى غاية 1947.

2 - يبدو أن الأمير عبد القادر أراد القطيعة مع الحكم العثماني وعدم التبعية لهم

3- MESSALI HADJ: Les mémoires de MESSALI HADJ 1898-1938 édition j.c Lattès, 1982.

- وذلك حسب وصف مصالي الحاج في مذكراته ص 115.

ويتمثل الحدث الثاني في تقديم مجموعة من سكان الشرق الجزائري طلبا إلى رئيس الدولة الفرنسية وذلك بمناسبة صدور قانون التجنيد الإجباري عام 1912 بوضع علم مميز لجنود الجزائر في القوات الفرنسية.

أما الحدث الثالث يتمثل في المطالب التي قدمها الأمير خالد للدولة الحلفاء في مؤتمر الصلح بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بخصوص حق الشعب الجزائري بالاستقلال وتقرير مصيره وذلك بالاعتماد على وعود رؤساء دول الحلفاء، وعلى رأسهم رئيس الولايات المتحدة الذي كثيرا ما وعد بحق الشعوب في تقرير مصيرها.

ويتمثل الحدث الرابع والهام بالنسبة للعلم والعمل الوطني من أجل الحرية والاستقلال بميلاد نجم شمال افريقيا، الذي اعتمد علما ثلاثي اللون الأبيض والأخضر والنجمة والهلل باللون الأحمر سنة 1934 .

و يقول في هذا الصدد المناضل نايت بلقاسم «تم عقد اجتماع في باريس في منزل أحد المناضلين يدعى حسين..... وتم اختيار ثلاثة ألوان للعلم هي الأخضر والأحمر والأبيض، تمثل الأقطار المغاربية الثلاثة: المغرب تونس والجزائر 1.

ولتنفيذ اتفاق قادة الحزب على ألوان العلم كلف مصالي الحاج زوجته بخياطة العلم الوطني، وذلك لتقديمه في اجتماع حضره عدد كبير من المناضلين، وتم فيه رفع العلم بألوانه الثلاثة وفي وسطه النجمة والهلل، وكان ذلك في شهر أوت سنة 1934 الذي يعتبر تاريخ ميلاد العلم الوطني الجزائري.

وكان هذا العلم في البداية يرمز لبلدان شمال افريقيا الثلاث المغرب والجزائر وتونس، ثم تحول فيما بعد وأصبح يمثل العلم الجزائري، هذا بالإضافة إلى رايات أخرى كانت تستعمل في المظاهرات إلى جانب العلم الذي تبناه حزب الشعب الجزائري منذ تأسيسه سنة 1937.

1 - د. زغبيدي محمد لحسن، العلم الجزائري تاريخ ونشأة، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر 2012.

ويؤكد بعض المؤرخين أن العلم الوطني الجزائري ولد سنة 1934، بألوانه الثلاث وشكله الحالي ورفع خلال هذه السنة ثلاث مرات وكان المتناضلون في الحزب يستعملون كل مرة الرايات الخضراء مع الهلال.

وفي هذا المناخ المفعم بالروح الوطنية النضالية وشعور القيادة بضرورة وضع راية لا تكون رمزا للحزب فحسب بل رمزا وطنيا وفي ذلك اتخذ قرارا في مؤتمر حركة أحباب البيان و الحرية في أفريل 1945، في تصميم علم وطني جزائري.

ومن ذلك التاريخ ظل العلم يرفع في كل المظاهرات والمناسبات والاحتفالات الداخلية والدولية، إلى غاية الاستقلال، باسترجاع السيادة الوطنية، وأذكر على سبيل المثال بعض المظاهرات التي كان لها وقعها في مرحلة النضال والكفاح الجزائري.

وقد رفع العلم الجزائري مرة أخرى بمدينة الجزائر بتاريخ 14 / 07 / 1937، وذلك بمناسبة مشاركة حزب الشعب في مظاهرة نظمتها الجبهة الشعبية الفرنسية، وكان يحمله شخص يدعى عبد الرحمان¹، وهتف له الجزائريين والجزائريات طيلة مسافة المسيرة المنطلقة من (بلكور) بلوزداد حاليا إلى الجامع الكبير وكان لهذه المناسبة صدى كبير في أوساط المناضلين والجمهور، الأمر الذي أدى بالسلطات الفرنسية الاستعمارية إلى اعتقال قادة حزب الشعب بتهمة القيام بجملة معادية لفرنسا، وإحداث الاضطرابات ضد السيادة الفرنسية².

1 - لقد قرر مسؤولو الحزب المشاركة بهدف اظهارهم للشعب وللأوربيين العلم وتميزهم عن غيرهم من المتظاهرين بهذه المناسبة غير أن العلم كان غير موجود فكانت توجد نسخة منه بمدينة تلمسان في كفها وجه مصالي الحاج عند أخته، فانصلت القيادة على عجل بإرسالها إلى الجزائر وكذلك كان الأمر.

2 - الدكتور أبوا القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ط 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص 145.

وكانت هذه المناسبة رغم ما انجر عليها من اعتقالات من المناسبات التي رسخت الحس الوطني لدى المناضلين وزادت في نفوسهم حب العلم الوطني، واتخاذ شعارا للدفاع والتضحيات الخاصة في المراحل اللاحقة للعمل النضالي.

وقد شهدت مظاهرات 8 ماي 1945 أكبر تظاهرة وطنية قادها العلم الوطني بما يرمز إليه من دلالات و أبعاد وطنية استقلالية ثورية.

ومن حينها أصبح للعلم بعد آخر وهو رمزية دماء الشهداء الذين سقطوا في ماي 1945.

حيث جعلت الحركة الوطنية بكل تشكيلها و اديولوجياتها العلم رمزا لها تعلقه في مكاتبتها الرسمية وتحمله في التظاهرات و المناسبات .

و لما اندلعت ثورة التحرير الوطني في أول نوفمبر 1954 ، اتخذت العلم كاستمرارية نضالية لمسار الحركة الوطنية، حيث تبناه جيش التحرير الوطني رمزا وسلاحا، واتخذته جبهة التحرير الوطني شعارا وتمييزا في تمثيلياتها الخارجية ونشاطاتها الدبلوماسية.

المحور الثاني :مصادر العلم

قد يتساءل المرء عن مصدر العلم الجزائري، وللإجابة على هذا التساؤل سنعمد بالدرجة الأولى على انتماءات، وطموح وهوية الشعب الجزائري، وقد تتعدد وتختلف المصادر بالنسبة لشعارات ورموز كل راية، إلا أننا سنكتفي في هذا المستوى من البحث بذكر مصدرين التاليين كما يلي:

I-المصدر الديني:

إن الشعب الجزائري مسلم ومن هذا المنطلق يلاحظ المتتبع لهذا الموضوع مدى تأثير الرايات الجزائرية بشكل عام منذ دخول الاستعمار إلى غاية تأسيس حزب الشعب بالرايات التي اعتمدتها الدولة الإسلامية عبر العصور وخاصة ما وصلنا منها عن طريق الدولة العثمانية¹، ونلاحظ هذا التأثير بشكل واضح في الرايات التي استعملها قادة المقاومة وزعماء الحركة الوطنية.

فبالرجوع إلى راية دولة الأمير عبد القادر نجدها مشكلة من اللون الأخضر الذي يرمز إلى راية الإسلام والأبيض الذي يرمز للسلام ورسم عليها يد مبسوطة وكتب عليها نصر من الله وفتح قريب.

II-المصدر الوحدوي:

ونعني بذلك وحدة المغرب العربي التي كان يعمل من أجلها المناضلون الأوائل لتوحيد نضال ومصير الأقطار الثلاثة المغرب والجزائر وتونس .

وتحقيقا لهذا الهدف أنشأ زعماء الأمصار الثلاثة حزبا سمي بنجم شمال إفريقيا، وكان من أهم أهدافه الاستقلال لبلدان المغرب العربي وتنفيذا لهذا الطموح اتفقوا على التعاون الوحدوي الذي تجسد في علم يرمز لبلدان شمال إفريقيا واختيرت له الألوان الثلاث، الأخضر الذي أخذ نصف مستطيل، وأخذ الأبيض نصف المساحة الباقية ويتوسط المساحة الكلية نجمة وهلال باللون الأحمر.

1 - الجيلالي صاري، المقاومة السياسية 1954-1900، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987، ص 114.

وتم تصميمه بشكل يعبر عن شعارات وأعلام الأقطار الثلاثة، فاللون الأخضر يعبر عن راية الأمير عبد القادر، والرايات التي استعملت خلال المقاومة والحركة الوطنية، واللون الأحمر يشترك فيه كل من العلم المغربي والعلم التونسي، واللون الأبيض يوجد في الأعلام الثلاثة.

والهلال يرسم في الأعلام الثلاثة، أما النجمة فقد كانت شعار حزب نجم شمال إفريقيا، حيث كانت ترسم على جميع الوثائق وبطاقات المناضلين، وعلى الصفحة الأولى من جريدة الأمة¹، واختلفت التفسيرات حول الأضلع الخمس للنجمة، فمنهم من يقول بأنها ترمز لأركان الإسلام الخمس، ويعتبرها البعض أنها تمثل دول المغرب العربي الخمسة².

إن الأمر لا يحتاج لشرح لمعرفة ما مدى تأثير المرجعية الإسلامية، وعلى هذا النحو استمرت المقاومات الجزائرية اللاحقة بتبني الراية الإسلامية ذات اللون الأخضر باستعمال الهلال أحيانا.

وفي هذا السياق نلاحظ أن أول راية رفعت في مظاهرات العمال بمدينة سكيكدة سنة 1910 كان لوها أخضر يتوسطها هلال أبيض اللون.

وقد استعملت هذه الراية فيما بعد في العديد من المظاهرات وبمناسبة إحياء عيد العمال وذلك يهدف تمييز العمال الجزائريين عن غيرهم من العمال الأوربيين للتمسك بالهوية الوطنية، ورفض سياسة الإدماج إلى جانب هذه الراية الخضراء لاحظنا وجود رايات أخرى تعبر عن الارتباط بالدولة العثمانية، وهو علم بلون أخضر وقد رسمت عليه نجمة وهلال وكتب عليه القسم العربي الجزائري.

1 - د- زغدي محمد الحسن،-مرجع سابق.

2 - وبسطة وعقوية المناضل باقاسم راهف أحد مؤسسي النجم أن اللون الأبيض هو رمز الجزائر البيضاء، والأحمر هو رمز تونس، واللون الأخضر هو رمز مراكش الحمراء، جريدة الشعب بتاريخ 29/01/1986.

وفي رأينا أن العلم الجزائري أساس المرجعين معا، المرجع الديني بحكم أن الشعب الجزائري مسلم، والوحدوي باعتبار أن الشعب الجزائري يطمح لوحدة دول المغرب العربي، إلا أنه ينبغي أن يضاف إلى المرجعين السابقين مرجع ثالث هام يتمثل في نضال الشعب الجزائري، خلال حقبة الاحتلال، وتجسيد دماء الشهداء الزكية التي اصطبغ بها العلم وزادت من لونه الأحمر احمرارا سواء كانوا من الرواد الأوائل للمقاومة الجزائرية أو من مناضلي الحركة الوطنية، أو من مجاهدي الثورة التحريرية.

تشكل كذلك دماء الشهداء الذين سقطوا ويبداهم العلم المرجعية الثالثة للعلم الجزائري.

المحور الثالث: التنظيم القانوني للعلم الجزائري

I- الجانب التشريعي:

لقد تم بعد استرجاع السيادة تنظيم العلم بقانون بالمعنى الضيق من جهة، وبأحكام دستورية من جهة ثانية.

1 - التنظيم القانوني:

رأت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ضرورة تنظيم العلم ووضع ضوابط للشكل، حيث احتفظت بالألوان الثلاث الأبيض والأخضر والأحمر، وذلك بمقتضى مرسوم صادر عن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بتاريخ 04/04/1962 ، وقد تم هذا في إطار التحضيرات الجارية لإتمام رموز السيادة للدولة الجزائرية صاحبة السيادة.

وبعد الإعلان عن استرجاع السيادة الوطنية، وإقامة أول جمعية وطنية تأسيسية للدولة كان من بين أولى اهتماماتها، مواصفات مقاييس، شكل وخصائص العلم، فأصدرت أول قانون لهذا الغرض تحت رقم 63-145 الصادر في 25 /04/ 1963 وأشارت الجمعية في مقدمة هذا القانون بأن هذا العلم الوطني قد اختاره الشعب الجزائري بصورة تلقائية في جميع مواقعہ وضحي من أجله بقوافل من الشهداء.

وأوصت بأن يجد العلم مكانته اللائقة في دستور الدولة الجزائرية الذي ستصادق عليه الجمعية الوطنية التأسيسية صاحبة السيادة الشعبية.

وحددت المادة الأولى من هذا القانون: المواصفات والخصوصيات والشكل حيث أكدت على أن العلم يتضمن الألوان الثلاثة الموجودة الأخضر الأبيض و النجمة و الهلال بالون الأحمر. وحددت خصوصياته التقنية في ملحق مرفق بالقانون.

ثم تلى ذلك مرسوما يحمل رقم 63/249 المؤرخ في 10 جويلية 1963 و المتضمن الرموز الحاوية للراية الوطنية.

وقد وجد العلم مكانته اللائقة في مختلف دساتير الدولة الجزائرية كرمز للسيادة الوطنية وثابت من ثوابتها الأساسية.

2 - التنظيم الدستوري:

في أول دستور للدولة الجزائرية المستقلة تضمنت المادة 6 منه تحديد مواصفات وخصوصيات العلم فنصت على أن: «علم الدولة الجزائرية أخضر وأبيض يتوسطه هلال ونجمة أحمران» وذلك تجسيدا لما جاء في القانون السابق.

وتناول دستور 1976 في مادته الرابعة على أن: «خاصية العلم يحددها القانون»، جعل وضعه مثل ختم الدولة و العاصمة دون اهتمام يليق بمكانة العلم كما جاء في سابقه.

أما دستور 1996 كان كسابقه في تناول العلم في مادته 5، حيث نصت على أن «العلم الوطني وخاتم الدولة و النشيد يحددها القانون».

وفي التعديل الدستوري لسنة 2008، نلاحظ أن العلم أخذ مكانته اللائقة به كأحد رموز و ثوابت الدولة، حيث صيغت المادة 5 منه على النحو التالي: «العلم الوطني و النشيد الوطني من مكاسب ثورة أول نوفمبر 1954 وهما غير قابلان للتغيير».

و تضيف المادة 5 :«هذان الرمزان من رموز الثورة، هما رمزان للجمهورية بالصفات التالية:علم أخضر و أبيض ويتوسطه نجمة وهلال أحمر اللون».

وأكدت في هذا السياق المادة 178 من نفس الدستور المعدل أنه: «لا يمكن لأي تعديل دستوري أن يمس العلم الوطني والنشيد الوطني باعتبارهما من رموز الثورة والجمهورية». هذه التأكيدات بالمواصفات والقوة لم نشهدها في الدساتير السابقة.

وتناول المرسوم الرئاسي رقم 365-97 الصادر في 27 /09/ 1997، والمحدد لشروط كيفية استعمال العلم الوطني، حيث نص في مادته الثانية على إلزامية رفع العلم الوطني بصفة دائمة في مقرات مؤسسات الدولة والمجالس المنتخبة والجمعيات والأحزاب السياسية والمنظمات الوطنية، كما يتمتع بالحماية العامة، ويخضع انجازه واستعماله للمواصفات المحددة في التشريع والتنظيم ساري المفعول.

II- الخصائص والمقاييس التقنية للعلم:

يجهل الكثير من أبناءنا خصائص ومقاييس العلم، فهو في الواقع ليس مجرد قطعة قماش يرسم عليها ألوان، بل هو رمز السيادة ويخضع لحسابات دقيقة تحدد المساحات التي يتكون منها و شكل الألوان الثلاثة، وهذا ما سنحاول تبينه بالاعتماد على ما ورد في معطيات

النصوص القانونية في كل من القانون رقم 145-63 المؤرخ في 25 /04/ 1963 المحدد لخصائص الراية الوطنية الجزائرية و الملحق المرفق به .

اعتمد المشرع الجزائري في تحديد الخصائص والمقاييس تارة حسب اللون وتارة حسب المضمون، كما ستلاحظه فيما يلي:

1 - يتكون العلم من مستطيل يساوي طوله مرة نصف عرض ارتفاعه، ويقسم هذا المستطيل إلى مساحتين، يفصل بينهما خط عمودي، قسم يوجد بداخل الخط العمودي، ملون بالأخضر، وقسم خارج عن الخط العمودي ملون بالأبيض.

2 - الهلال ملون بالأحمر ، يشكل رأسا مقوسا كبيرا يساوي خمسة أسداس من محيط الدائرة الخارجية للعلم، يرتكز في وسط المستطيل حيث يعادل شعاع الدائرة الخارجية لربع (1/4) ارتفاع العلم، يكون شعاع الدائرة الخارجية مساويا لخمس '1/5) ارتفاع العلم.

3 - أما النجمة فيوجد موقعها في الساحة البيضاء للعلم، وتتكون من خمس أضلاع ترتكز شوكتان منها على الخط العمودي الأوسط للمستطيل، وهي مرسومة باللون الأحمر.

خاتمة:

وأخيرا أشير أن العلم ليس مجرد قطعة من القماش عليها مجموعة من الألوان، وإنما تمثل هذه الراية رمزا يميز كل دولة عن غيرها من الدول، وكذلك هو رمز لسيادة الأمة وشعارا تضعه في أعلى المراتب تعبيرا عن قيمتها وقيمتها شعبها، لذلك كل ما قيل في هذا الموضوع لا يعبر عن عظمة العلم الجزائري الذي كان ولا يزال قدوة النضال والتضحية والفداء.